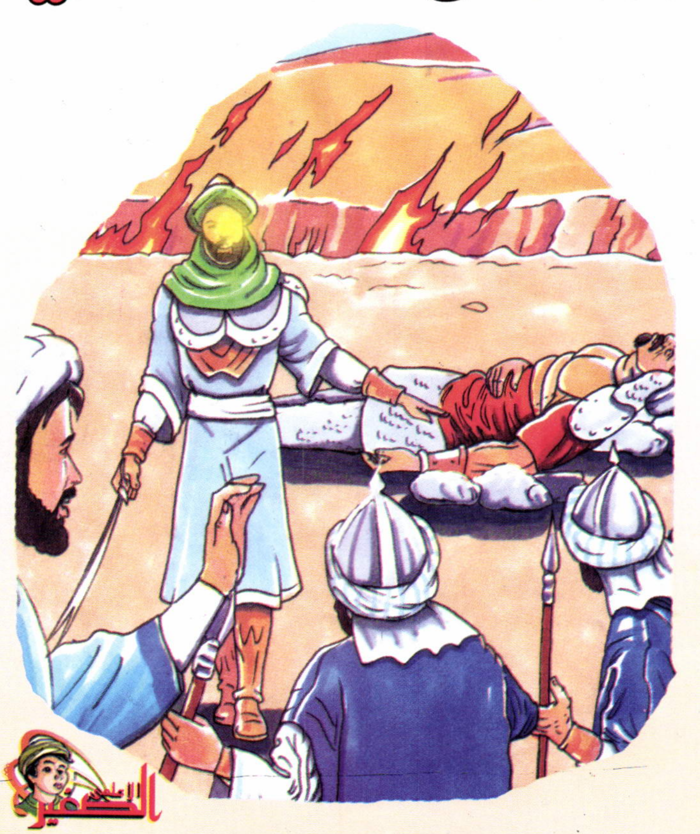
سلسلة الصحابة الأخيار

سلمان المحمدي





تأمّلَ (روزبــةُ) القَيدَ الحـديديَّ في قَدَميــهِ، ثُمَّ ابتَسَـمَ ابتِسـامَةَ المُطمَئِنِّ. لم يَكُنْ سجيناً في واحِدٍ من سُجونِ الحُكّامِ الظالِمينَ قُساةِ القُلوبِ، لكنَّهُ أبوهُ!

ليسَ غريباً لُجوءُ أبيــهِ (خشفوذانَ) إلى وَضْعِ الأصفـادِ حـولَ قَدميِّ وَلَدِهِ المُدَلَّلِ ، فما جـاءَ بِهِ الفتى هذِهِ العَشِيَّةَ، لَجَديرٌ بِـأن يَدفَعَـهُ إلى حَبسِــهِ ومَنعِــهِ منَ الخُـروجِ خَشيَةً وإشفاقـاً عَليهِ!

كــانَ (خشفوذانُ) يعـيشُ في بِـلادِ فـارِسٍ قبلَ سُطـوعِ شَمسِ الإسلامِ، بينَ قومٍ يَدينونَ بالمجوسيَّةِ، ويعبدونَ النّارَ. وكانَ عِندَهُ مـالٌ كثيرٌ ومُمتَلَكـاتٌ ولديــهِ أولادٌ، وهذا (روزبةُ) أحبَّ أولادِهِ إليهِ، الّذي لم يكُنْ يَسمَـحُ لَهُ بالخُروجِ منَ البيتِ إلاّ فيمـا نَدَرَ، فصارَ الابنُ يقضي جُلَّ أوقاتِهِ في إيقادِ النّارِ الّتي تَعلَّمَ تَقديسَهـا من والِدَيهِ.

وشاءَتِ الصُّدَفُ أن يَحتاجَ إلى إرسالِ ابنِهِ في صَبيحَةِ هذا اليَومِ إلى إحدى مزارِعِهِ، بِسَبَبِ انشِغالِهِ بِبِناءِ دارٍ لَهُ، كي يُشرِفَ على سَيرِ العَمَلِ، واجتِهادِ الفَلّاحينَ فيهِ.

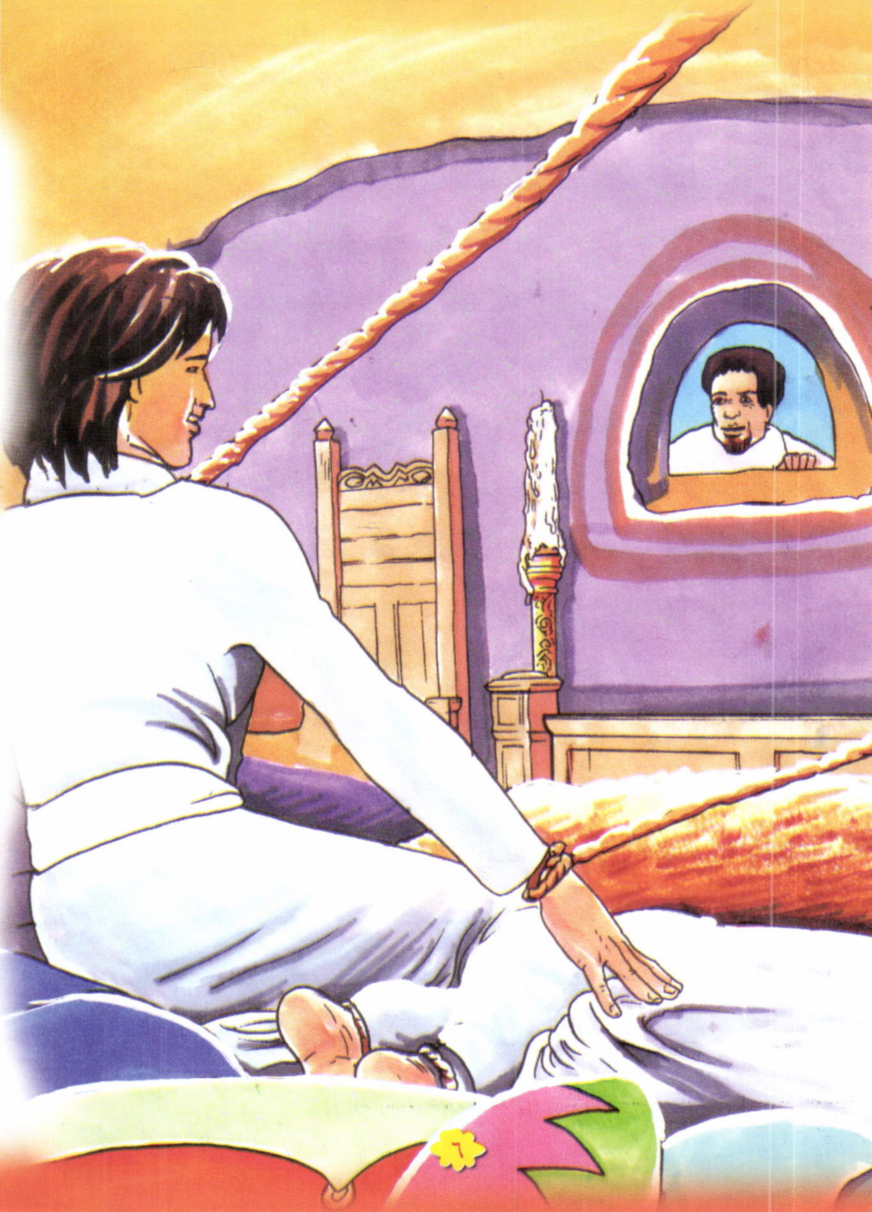
فَلَم يَنسَ أن يقـولَ لَهُ وهوَ يُوَدِّعُــهُ قبلَ أن يَخرجَ: " ولا تتأخَّـرْ عنِ العودَةِ إليَّ، فَتَشْغَلَني عنْ همِّ العَمَلِ بِهَمّي بِكَ!".



أسْرَعَ (روزبَةُ) إلى حَيثُ أمَرَهُ أبوهُ. وفي الطّريقِ مَـرَّ الابنُ على كنيسَةٍ للنَّصارى، ورأى القـومَ وهُـم يُصلّـونَ. فيما كانَ صَوتُ الكاهِنِ يتعالى مرتّلاً بَعضَ فُصولِ الإنْجيلِ بِصَوتٍ عذبٍ رخيمٍ، سُرعانَ ما اقتَحَمَ فُؤادَهُ وأخَذَ بِمجـامِعِ قَلبِهِ، واستَولى على كُلِّ تَفكيرِهِ.

وظلَّ الفتى يُراقِبُ المُصَلّينَ، فَنَسيَ أمرَ المهمَّةِ الّتي عَهَدَ بِها أبوهُ إليهِ، وانقضى اليومُ كُلُّهُ دونَ أن يَشعُرَ إلاّ والشَّمسُ تَرمي أشِعَّتَها الورديَّةَ على الأفقِ مُؤْذِنَةً بالغِيابِ.

حينها فقط تذَكَّرَ أباهُ والمزرَعَة، والمَهَمَّةَ الّتي حَملَها على عاتِقِهِ، فانطَلَقَ إلى البَيتِ دونَ أن ينسى سُؤالَ القـوم عن أصـلِ هذا الدّينِ، فأخبَروهُ أنّهُ في الشّـام. خلالَ النّهـارِ كانَ القَـلَقُ يَتَجرَّعُ أعصابَ (خشفوذانَ) حتّى صارَ في حالٍ يُرثى لها، وما إن وَصَلَ وَلَدُهُ الحبيبُ، وعَرَفَ منهُ سَبَبَ تأخُّـرِهِ، حتّى اهتاجَتْ مَخاوِفُهُ من جَديدٍ، وهو يَسمَعُ من ابنِهِ مايَنُمُّ عن إعجابِهِ بِدينِ النّصارى، وقد عَبَّرَ عن ذلكَ بِقَولِـهِ:" قد مَرَرْتُ بِقَومٍ يُصَلّـونَ في كَنيسَةٍ، فَأعجَبَني ما رأيتُ من أمرِهِم، وعَلِمتُ أنَّ دينَهُم خيرٌ من دينِنا!".



تَنَهَّدَ الأبُ مُحتاراً في أمرِهِ، وقالَ لِوَلَـدِهِ:" يابُنيَّ! دينُكَ وديـنُ آبائِكَ خَيرٌ من دينِهِم".

لكنَّ الفتى عانَـدَ أبـاهُ، وأقسَمَ أنَّ دينَ النّصـارى أحسنُ! فلَم يَجِدِ الأبُ الّذي لطالَما اختَبَرَ وَلَدَهُ العَنيدَ، سوى أن يُقَيِّدَ رجليهِ بالحَديدِ، ويَمنَعَهُ من الخُروجِ، لئلاّ يَدفَعُهُ الفضـولُ إلى البَحثِ عن أصلِ ذلكَ الدّينِ في الشّام.

كانَ(روزبةُ) يتذكَّرُ كُلَّ ما مَرَّ مَعَهُ، دونَ أن يتألَّمَ منَ الحديدِ ولا منَ السِّجنِ الّذي وَضَعَهُ أبوهُ فيهِ، إنّما كانَ يُزعِجُهُ أنّهُ صارَ في منأىً عن أولئكَ القومِ الّذينَ أُعجِبَ بدينِهِم، إضافَةً إلى أنَّ ما بَينَ بلادِ فارسٍ وبلادِ الشّامِ مسافاتٌ ومسافاتٌ لا يُمكِنُ قَطعُها إلاّ بشَقِّ النَّفسِ.

وأخيراً جاءَ إليهِ بَعضٌ من أصحابِهِ الّذينَ يَثِقُ بِهِـم، واقتَرَحـوا عَلَيهِ أن يُساعِدوهُ، بعدَ أن مَرَّتْ عَليهِ أيّامٌ وليالٍ وهو في سِجْنِهِ البَيْتيِّ. لَقَدِ اتَّصَلَ أصحابُ الفَتى بنصارى الكَنيسَةِ، وأخبروهُـم عن لهفَـةِ صاحِبِهِـم لاعتِنـاقِ دينِهِـم، ثُمَّ سَألـوهُم عن موعِـدِ خُـروجِ أوَّلِ قوافِلِهِـم إلى الشّـامِ، بَعدَ ذلكَ عـادَوا بالبُشـرى، وزفّوا إليهِ الموعِدَ معَ موافَقَةِ النّصارى على أن يصطَحبـوهُ في رِحلَتِهِم تِلكَ.



وأخيراً حانَ الموعِدُ المُنتَظَرِ، وانطَلَقَ الفتى معَ النَّصارى .أمّا والِداه فقد قَرَّحَ الدَّمعُ جُفونَهُما، وهُما يَفقِدانِ الأمَلَ يوماً بَعدَ يَوم من عَودَةِ ابنِهما الأثيرِ على قَلبَيهما.

وَقدْ فكَّرَ (روزبةُ) بوالِدَيْهِ كثيراً، لكنَّهُ كانَ موقِناً من أنَّهُما لم يكونا سَيَسمَحانِ لَهُ بِأن يُغيِّرَ عقيدَتَهُ، لذا لم يأسَفْ على شيءٍ طالَما أنّهُ راحِلٌ إلى اللّهِ جلَّ وعلا !

في الشّام بَدَأتْ رِحلَةُ الفتى(روزبَة)في البحثِ عنِ الحقيقَةِ، والتَقى أوّلاً بِأسقفٍ هَرِمٍ طاعِنٍ في السِّنِّ، تبدو على ملامِحِهِ سيماءُ التُّقى والصَّلاحِ، يَعيشُ في صَومَعَةٍ على جَبَلٍ عالٍ.

قَدَّمَ الفتى نَفسَهُ إليهِ،وعَرَضَ عَلَيهِ أن يَعيشَ مَعَهُ في صَومَعَتِهِ، كي يَخدِمَهُ ويَصْحَبَهُ ويتَعَلَّمَ منهُ. وَقبِلَ الأسقَفُ، وظلَّ يُعلِّمُهُ سَنواتٍ من الأسرارِ الإلهيَّةِ الّتي وَرَثَها عن حواريّي عيسى عليه السلام إلى أن مَرِضَ ثُمَّ ماتَ تارِكاً لروزبةَ لَوحاً، بَعدَ أنْ كَلَّفَهُ بِأن يَحمِلَهُ إلى راهِبٍ يَعيشُ في أنطاكيةَ شَمالَ بِلادِ الشّام.كانَ ذلكَ اللّوحُ أثراً كريماً بقيَ منَ السّيِّدِ المسيحِ عليه السلام، وظلَّ أتباعُهُ الصّالِحونَ يتوارَثونَهُ فيما بَيْنَهُم.



أوصَلَ (روزبَةُ) الأمانَةَ إلى صاحِبِها، وعَرَضَ عَلَيهِ أن يَصحَبَهُ كي يَتَعَلَّمَ منهُ، فقَبِلَ الرّاهِبُ، وظلَّ (روزبةُ) في خِدمَتِهِ سَنـواتٍ طويلَـــةً حتّى مَرِضَ الرّاهِبُ ودنا منهُ ملاكُ المـوتِ، فأوصى بلَوحِهِ المُقَدَّسِ إلى راهِبٍ يعيشُ في أحَدِ أديـــرَةِ الإسكندَرِيَّةِ في مصرَ.

لم يُقصِّرْ (روزبَةُ) في واجِبِهِ، فَأوصَلَ الأمانَةَ مرَّةً أُخرى، وعاشَ معَ الرّاهِبِ في الإسكندريَّةِ حتّى دنَتْ منهُ ساعَةُ الوفاةِ، ففَــكَرَ روزبَةُ بِمن سيكونُ صاحِبَ اللّوحِ بَعدَ اليَوم.

في هذِهِ المَرَّةِ، سَلَّمَ الرّاهِبُ اللَّــوحَ إلى (روزبةَ) وقــالَ لَهُ:" لا أعرفُ أحداً على طريقتي، وما بقيَ أحدٌ أعلِّمُهُ على دينِ عيسى بنِ مريَمَ في الأرضِ، وقد أظَلَّكَ زمانُ نبيٍّ يُبعَثُ بِأرضِ العَرَبِ. إنَّ مُحمّداً قد حانَتْ وِلادَتُهُ، فَإذا بَلَغَكَ أنَّهُ قَد خَرَجَ، فَإنَّهُ النَّبيُّ الّذي بَشَّرَ بِهِ عيسى صَلواتُ اللّهِ وسلامُهُ عَلَيهِما، وآيَةُ ذلكَ: أن بينَ كتِفَيهِ خاتَمُ النُّبُوَّةِ، وأنَّهُ يَأكُلُ الهَدِيَّةَ ولايَأكُلُ الصَّدَقَــةَ. فَإذا أتيتَهُ فأقرِئْهُ السَّلامَ، وادفَعْ إليهِ هذا اللّوحَ!".



حملَ (روزبَهُ) اللّوحَ الأمانَــةَ ومضـى، دونَ أن يَحمِـلَ مَعَهُ أيَّ
شَيءٍ سِـوى البُشـرى بِلِقــاءِ النَّبيِّ المُنتَظَـرِ الّذي سَيَجِـدُ عِنـدَهُ
الحقيقَةَ الّتي طالَما عاشَ لأجلِ مَعرِفتِها.
ومضى في سَبيلِهِ. لقد أخبَرَهُ الرّاهِبُ بِـأنَّ النَّبيَّ الّذي قَرُبَ موعِدُ
ظُهـورِهِ نبيٌّ عربيٌّ. إذاً عليهِ أن يُوجِّهَ سَيـرَهُ نحـوَ الحجـازِ. ولم
يَطُلِ انتظارُهُ حتّى التَقى قافِلَةً في طَريقِها إلى هُناكَ. لكنَّ الرَّجُلَ
المسكينَ لايَملِكُ مالاً كي يَدفَعَ نفَقَةَ الطّريقِ!
ورغمَ أنَّهُ لاحظَ ثراءَ القَومِ وسِعَةَ يَدِهِم، إلاّ أنَّهُ رفضَ أن يكونَ
عالةً عليهِم، فقدَّمَ لَهم عرضاً لا يُمكنُ أن يَرفضوه:
قالَ لَهم:" ياقوم! أكفـوني الطَّعــامَ والشَّرابَ، أُكفِكُـمُ الخِدمَـةَ!"
كانَ الجماعَةُ منَ العَـرَبِ، وكانــوا مستَعـدّينَ لما اتّصفوا بِهِ من
الكرَمِ، أن يُنفِقوا عَليهِ كرماً وجوداً. لكنّهتم فَهِمــوا ما يتمتَّـعُ بِهِ
الرَّجُلُ من عفافٍ فقبِلوا خِدْمَتَهُ لَهم كي لا يُضايِقوهُ.
وفي الطّريقِ اكتَشَفَ القومُ أنَّ الرَّجُلَ لا يأكُلُ لَحمَ الميتَةِ،
ولا يَشرَبُ الخمرَ، وهذا معناهُ أنَّهُ يدينُ بالمسيحيَّةِ وأنَّهُ كانَ
يعيشُ حياةَ الرُّهبانِ والأساقِفَةِ.



لم يكُن (روزبةُ) على عِلمٍ بأنّهُ وَقَعَ في مُشكِلَـةٍ! فالجمـــاعَـةُ وثنيّونَ، ويمقُتونَ كُلَّ من هـو على غيرِ دينِهـم، لذا اعتـدوا علَيهِ بالضَّربِ القاسي حتّى كادوا يقتلـونَهُ، فخطَـرَتْ على بالِهِ فِكـرَةٌ: أن يعرِضَ على القوم العبوديّةَ، فيبيعونَهُ ويُخلِّصُ نفسَهُ ممّا وقَـعَ فيهِ من بلاءٍ، فالعبوديّةُ بالنِّسبَةِ إليهِ خيرٌ من أن يُضيِّعَ الأمانَةَ الّتي جاءَ بِها إلى النّبيِّ المُنتَظَرِ.

قبلَ القومُ إقرارَ (روزبةَ) بالعبوديّةِ لهم، فباعوهُ إلى رجلٍ يهـوديٍّ بثلاثمائةِ درهمٍ. وبالطّبـع راحَ الرّجُـلُ يسـألُ (روزبةَ) عن أصلِهِ وفَصلِهِ، فروى لهُ حكايَتَهُ كامِلَةً، ليفاجَأَ بموقفِ اليهوديِّ الّذي ما إن سَمِـعَ باسـم محمّدٍ ﷺ حتّى فقدَ صوابَـهُ، لأنّـهُ كـانَ ممّـن يكرهـونَ النّبيَّ ﷺ. وقرّرَ أن ينتقِمَ منهُ، فأخرجَـهُ إلى باحةِ دارِهِ حيثُ وَجَدَ تلّةً عاليةً من الرّمـل، وقـالَ لهُ:" واللّهِ يا روزبةُ ! لئن أصبحتَ ولم تنقُلْ هذا الرّمـلَ كُلَّهُ من هذا المـوضِعِ لأقتلنَّكَ!.".

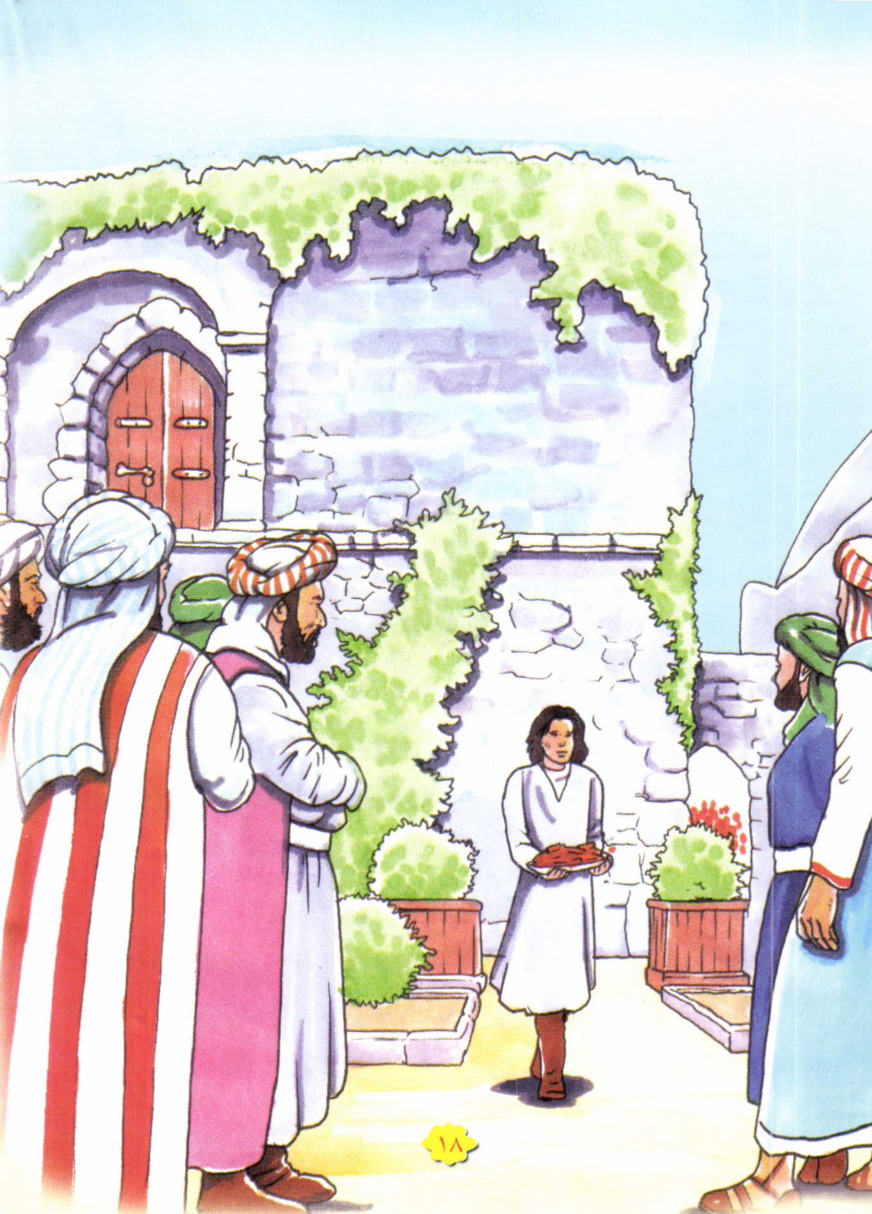
كانَ من المستحيلِ لروزبةَ أن يُنهي عَمَلَهُ قبلَ الصّباحِ! فالتَّلُّ كبيرٌ جدّاً، ولم يجِد أمامَهُ وسيلَةً سوى أن يرفعَ يَديهِ إلى اللّهِ بالدُّعاءِ كي يُخلِّصَهُ من المحنَةِ الّتي وَقَعَ فيها.



فجأةً هبَّتْ ريحٌ أرسَلَها اللّهُ تعالى، وحَمَلَتِ الرَّملَ كُلَّهُ إلى حيثُ طَلَبَ اليهوديُّ! وفي الصَّباحِ أقبَلَ اليهوديُّ وهو غيرُ مصدِّقٍ لِما رآهُ، فظنَّ أنَّ روزبةَ ساحرٌ، وأرادَ أن يتخلَّصَ منهُ، فَباعَهُ لسَيِّدَةٍ أحَبَّتْهُ وأكرَمَتهُ. وكانَ لها بُستانٌ كبيرٌ، فقالَتْ له: "هذا البُستانُ لكَ، فكُلْ ماتشاءُ منهُ، وتصدَّقْ بما تشاءُ!".

لَقَد أكرَمَتِ المَرأةُ مثواهُ، وأُعجِبَتْ كثيراً بأمانَتِهِ ونَزاهَتِهِ واجتِهادِهِ في عَمَلِهِ، لذا لم تُضَيِّقْ عَلَيهِ في عيشَتِهِ وتَرَكَتْهُ يَعُدُّ الأيّامَ في انتِظارِ لِقاءِ النَّبيِّ الموعودِ. وفي يومٍ منَ الأيّامِ وَصَلَ خَبَرُ ظُهورِ نبيِّ الإسلام مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللّهِ ﷺ إلى(روزبة)، فَاضْطَرَبَتْ مشاعِرُهُ أشَدَّ الاضطِرابِ، وهو يَسمَعُ من النّاسِ عَنهُ الأحاديثَ دونَ أن يستطيعَ فِعلَ أيِّ شيءٍ. إذ إنّهُ مُجَرَّدُ عبدٍ لامرَأةٍ تدينُ بالوثنيَّةِ،ولا يُمكِنُ لَهُ أن يَفِرَّ من سُلطَتِها ، ويَنعَتَ نفسَهُ بالعَبدِ الآبِقِ الّذي ينالُ العذابَ أشكالاً وألواناً في شَريعَةِ الجاهليّينَ وقوانينِهِم!

وبقيَ (روزبةُ) على حالِهِ منَ الشَّوقِ المُؤلِمِ الّذي لَم يَهدَأْ لَحظَةً منذُ عَلِمَ بِظهورِ النَّبيِّ المُصطفى ﷺ. إلى أن حانَ اليومُ الّذي انفَتَحَتْ فيهِ السَّماءُ لِدُعائِهِ، وأقبَلَ إلى البُستانِ حيثُ يَعمَلُ سَبعةُ رِجالٍ تُظِلُّهم غَيمةٌ!



لم يَعُدْ لَدى (روزبةَ) أدنى شَكٍّ في أنّ النَّبيَّ واحِدٌ منهم! ولكن أيٌّ واحِدٍ ياتُرى؟

لَقَدْ كانوا: محمّداً رسولَ اللّهِ ﷺ، وعليّاً بنَ أبي طالبٍ عليه السلام، والحَمزَةَ بنَ عبدِ المُطَّلبِ، وعقيلاً بنَ أبي طالبٍ، وزيداً بنَ حارثَةٍ، والمقدادَ وأبا ذرٍّ. وظَلَّ يتأمَّلُهُم حتّى استَطاعَ أخيراً أن يُميِّزَ النَّبيَّ ﷺ من بينِهِم جَميعاً، لما لَهُ من طَلْعَةٍ بَهيَّةٍ، وجمالٍ مُمَيَّزٍ. ثُمَّ أحبَّ أن يَستَطلِعَ أمرَ العلاماتِ الثَّلاثِ الّتي أخبَرَهُ عنها راهِبُ الإسكندَريَّةِ. فَأسرَعَ إلى مولاتِهِ صاحِبَةِ البُستانِ يَستَأذِنُها في أن تَهَبَهُ قليلاً من الرُّطَبِ الّذي في البُستانِ، فقَبِلَتِ المرأةُ دونَ تردُّدٍ لما تُكِنُّهُ في قَلبِها من محبَّةٍ كبيرَةٍ لَهُ.

حَمَلَ (روزبَةُ) طبقاً فيهِ رُطَبٌ، وأقبَلَ نحوَ النّبيِّ ﷺ يُقدِّمُهُ إليهِ قائلاً: "هذهِ صَدَقَةٌ!". فَأكَلَ الرِّجالُ ما عدا النّبيُّ ﷺ وعَمُّهُ الحمزَةُ وابنَي عَمِّهِ. ففَهِمَ (روزبةُ) أنّها علامةٌ، وبقيَ علامتانِ.

بعدَ ذلكَ أسرَعَ ليأتي بِطَبَقٍ آخَرَ. قَدَّمَهُ إلى النَّبيِّ ﷺ، وقالَ: "هذهِ هديَّةٌ!". فقالَ النّبيُّ ﷺ: "بسمِ اللّهِ!". ثُمَّ مدَّ الجميعُ أيديهُم وأكلوا!



لم يبقَ لدى(روزبةَ) إلاّ أن يرى خاتَمَ النُّبُوَّةِ، فوقفَ خَلفَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وراحَ يتأمَّلُ مابينَ كتفيهِ، فالتَفتَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم نحوهُ وقالَ لَهُ:"ياروزبَةُ! تَطلُبُ خاتَمَ النُّبُوَّةِ؟.".

ثُمَّ كَشَفَ لَهُ عنهُ، فانحنى الرَّجُلُ على قَدَميِّ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يُقبِّلُهُما، ثُمَّ أبلَغَهُ سَلامَ الرّاهِبِ وقدَّمَ لَهُ اللّوحَ الأمانةَ!

حالَما التَقى النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بروزبةَ، عَلِمَ بِقِصَّتِهِ من قبلِ أن يَرويَها لَهُ، وذلكَ هو عِلمُ النُّبُوَّةِ، فَاشتراهُ من مولاتِهِ بِأربعمائةِ نَخلَةٍ نِصفُها حمراءُ،ونِصفُها صفراءُ،فكانَتْ للنَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مُعجِزَةٌ في ذلكَ المَوقِتفِ،إذ أنْبَتَ لها في الحالِ ما طَلَبَتْ، فَحاوَلَتِ المرأةُ أن تجعَلَ طَلَبَها أكثرَ صُعوبَةً لبُغضِها النَّبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم من جِهَةٍ، ولحبِّها الكبيرِ لروزبةَ من جهةٍ أخرى. لذا طَلَبَتْ أن تكتونَ النَّخلاتُ صفراءَ بِأجمَعِها، فهبَطَ جُبرائيلُ عليه السلام، ومَسَحَ النَّخلَ كُلَّهُ بِجَناحَيهِ فَصارَ أصفَرَ.

ومضى النّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بروزبةَ، وَكانَ أوّلُ مافَعَلَتهُ أن أعتَقَهُ وسمّاهُ (سلمانَ).

ذلكَ الرَّجُلُ إذاً هو الصّحابيُّ العظيمُ: سلمانَ الفارسيَّ!



لقدِ التقى النَّبيُّ ﷺ سَلمانَ الفارسيَّ بَعدَ أن قطَعَ شوطاً لابأسَ بهِ في إعلانِ دعوَتِهِ، بل إنَّهُ كانَ قد خاضَ بَعضَ المعارِكِ والغَزَواتِ ضِدَّ الكافرينَ والمُشركينَ في أكثرِ من مكانٍ.

وكانَ لِسَلمانَ خِبرَةٌ لابأسَ بِها في مَجالِ الحُروبِ والمعارِكِ، لذا تَقدَّمَ من النَّبيِّ ﷺ بِكُلِّ ماعِندَهُ من أفكارٍ لم يَعهَدها المُسلِمونَ في حُروبِهِم من قَبلُ . وكُلُّ هَمِّهِ أن يُعوِّضَ عمّا سَبَقَهُ بِه المُسلِمونَ من حُروبٍ بينَ يديِّ النَّبيِّ ﷺ.

وفي يَومِ الخندَقِ كانَ مَوعِدُ المُسلِمينَ معَ مَدرَسَةٍ جَديدَةٍ في القِتالِ، مَدرَسَةٌ خاصَّةٌ بِسَلمانَ الفارسيِّ، فالمُشرِكونَ جَمَعوا من جُيوشِهِمُ الآلافَ المُؤلَّفَةَ، بُغيةَ القضاءِ المُبرَم على الإسلامِ الّذي ازدادَ خَطَرُهُ حتّى باتَ أمرُ قضائِهِ على الوَثَنيَّةِ قضاءً تامّاً وشَيكاً.

في الواقِعِ وَجَدَ المُسلِمونَ أنفُسَهُم أمامَ مِحنَةٍ عَصيبَةٍ ، لكنَّ سَلمانَ تَقَدَّمَ من النَّبيِّ ﷺ بِنَفْسٍ مُطْمَئِنَّةٍ وقال:" يا رسولَ اللّهِ! إنّا كُنّا بِفارسٍ إذا حوصِرنا خَندَقْنا عَلَينا!.".

ما كادَ سَلمانُ يُشيرُ على النَّبيِّ ﷺ بذلكَ الرَّأيِ حتّى أمَرَ النَّبيُّ ﷺ المُسلِمينَ بِأن يقوموا بِتَنفيذِهِ على الفَورِ، بَعدَ أن أوحى إليهِ اللّهُ تعالى بِصوابِهِ، فَأسرَعَ المُسلِمونَ يتقاسَمونَ العَمَلَ.



في ذلكَ اليَوم،حَدَّدَ النَّبيُّ لِكُلِّ عَشرَةٍ منهُم حَفـرَ أربَعيـنَ ذِراعـاً، وكانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَعمَلُ في الحَفرِ كواحِدٍ منهُم ومَعَـهُ الإمـامُ عليٌّ عليه السلام، ولَم يَتَخَلَّفْ عنِ العَمَلِ إلاّ الفِئَـةُ المَعـروفَةُ من المُنـافِقينَ الّذينَ ذَكَرَهُم القُرآنُ الكَريمُ، وفَضَحَتهُم آياتُهُ،أولئكَ القَومُ كانـوا يَتَهرَّبونَ من العَمَلِ بِأعذارٍ واهِيَةٍ، وحُجَجٍ لَم تُقنِعْ أحداً.

وقد شَهِدَ سَلمـانُ أثناءَ الحَفـرِ ما لَـم يَشْهَـدْهُ في حَياتِـهِ ، حينَ عتَرَضَتْهُم صَخرَةٌ لم تَقوَ المَعاوِلُ على تَحطيمِهـا، فَدَعوا رسـولَ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كي يرى مايُمكِنُ أن يصنَعوهُ، فضَرَبَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بِمعوَلِهِ ضَربَةً أضاءَ مَعَهـا بَرقٌ بَدَتْ فيهِ قُصورُ الشّـام، ثُمَّ ضَرَبَهـا ضَربَةً ثانِيَـةً بَدَتْ مَعَهـا قُصـورُ المَدايـنِ، وفي الضَّرَبَةِ الثّالِثَـةِ أضاءَتْ قَصورُ صَنعاءَ واليَمَنِ، فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لِلمُسلِمينَ:" أما أنَّهُ سَيفتَحُ اللّهُ هذِهِ المَواطِنَ الّتي بَرِقَتْ فيها البَرقُ".

وقدْ خاضَ العَرَبُ في يَومِ الخَندَقِ مَعرَكَـةً مهـولَةً تجلَّتْ أعظَمُ ملاحِمِها في النِّزالِ الّـذي جَرى بَينَ الإمـامِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام وبَينَ أعظَمِ فُرسانِ المُشركينَ وهُوَ: عمرو بنُ عبدِ وُدٍّ،ذلكَ النِّزالُ الّذي انتهى بِقَتلِ المُشركِ عَمرو بِسَيفِ أميرِ المُؤمنينَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام.



وهُوَ النِّزالُ الّذي قالَ فيهِ الرَّسولُ الأعظَمُ ﷺ لابنِ عَمِّهِ عليه السلام: " أبشِرْ ياعليُّ! فلو وُزِنَ اليَومَ عَمَلُكَ بِعَمَلِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ لَرَجَحَ عَمَلُكَ بِعَمَلِهِم، وذلكَ أنَّهُ لَم يبقَ بيتٌ من بيوتِ المُشركينَ إلاّ وقد دخَلَهُ وهنٌ بِقَتلِ عمرو، ولم يبقَ بيتٌ من بيوتِ المُسلِمينَ إلاّ وقد دَخَلَهُ عِزٌّ بِقتلِ عمرو.".

كانَ سَلمانُ شاهِداً على كُلِّ ذلكَ،يَحفَظُ وتُدوِّنُ ذاكِرَتُهُ قبلَ أن يأتي يَومٌ لا يكونُ فيهِ النَّبيُّ ﷺ حاضِراً بينَ المُسلِمينَ، فيحفَظَ نَفسَهُ من أن تضِلَّ أو تضيعَ.

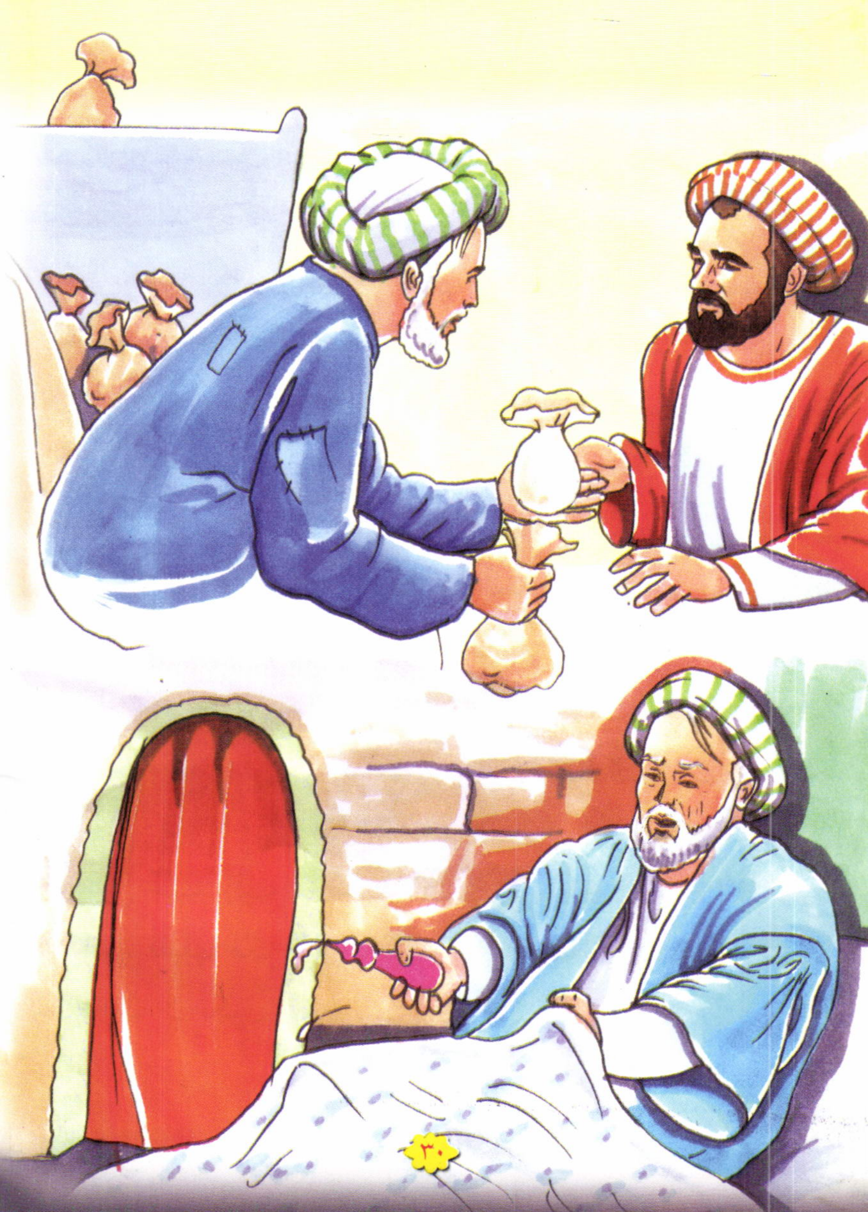
وها هُوَ يَروي لِلمُسلِمينَ بعضاً ممّا سَمِعَهُ منَ النَّبيِّ ﷺ،فيقولُ: أوصاني خَليلي رسولُ اللّهِ ﷺ بِسَبعٍ، لا أدَعُهُنَّ على أيِّ حالٍ: أنظُرُ إلى مَنْ هُوَ دوني، ولا أنظُرُ إلى مَنْ هُوَ فَوقي، وأن أُحِبَّ الفُقَراءَ وأدنُوَ مِنهُم، وأن أقولَ الحقَّ ولو كانَ مُرّاً، وأن أصِلَ رَحِمي وإن كانَتْ مُدبِرَةً، وأن لا أسأَلَ النّاسَ شَيئاً، وأوصاني أن أُكثِرَ من قَولِ:لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللّهِ، فإنَّها كَنزٌ من كنوزِ الجَنَّةِ.".



لم يُحدِّثْ سَلمانُ النّاسَ في هذا فَحَسبُ،فَقَدْ أوصاهُ النَّبيُّ ﷺ بِأنْ يقومَ بِدَورِهِ في تَعليمِ النّاسِ، إذ سَألَهُ سائِلٌ:" يارسولَ اللّهِ! عمّنْ نَكتُبُ العِلمَ بَعدَكَ؟". فقالَ ﷺ :" عن عليٍّ وسَلـمانَ.". ولطالَما قالَ لَهُ على مَسامِعِ المُسلِمينَ:" سَلمانُ منّا أهلَ البَيتِ.".

ولِذا وَجَدَ سَلمانُ نَفسَهُ في مَوقِعِ المُعَلِّمِ والنّاصِحِ، بَعدَ وفـاةِ النَّبيِّ ﷺ ، و بَعدَ أن رأى النّـاسَ يَرضَونَ بِخِلافَةٍ غَيرِ خِلافَةِ أميرِهِم الّذي أوصى لَهُ النَّبيُّ ﷺ، فَتَوَجَّـهَ إليهِم يُذَكِّرُهُم، ولم يكونوا قد نَسُـوا، ولكـنَّ الكَثيرينَ تَخاذَلـوا عن نُصرَةِ آلِ بَيتِ النَّبيِّ ﷺ، فكانَ سَلمانُ يَقولُ:" يا مَعشَرَ المُؤمنينَ! تعاهَـدوا ما في قُلوبِكُم لِعَليٍّ صَلواتُ اللّهِ عَلَيهِ، فإنّي ما كُنتُ عِندَ رسـولِ اللّهِ قطُّ، فَطَلَعَ عليٌّ إلاّ ضَرَبَ النَّبيُّ ﷺ بَينَ كَتِفَيَّ، ثُمَّ قـالَ:" ياسَلمانُ، هذا وحِزْبُهُ هُمُ المُفلِحونَ!".

أمّا حينَ عُهِـدَ إليـهِ في عَهـدِ عُمَـرَ بنِ الخَطّـابِ بالوِلايَةِ على المَدائِنِ، فقَبِلَها مُكرَهاً، ولكنَّهُ كانَ في قِيامِهِ بِتِلكَ المَهَمَّةِ مُعَلِّماً لِما يَجِبُ ان تكونَ عَلَيهِ الإمارَةُ في الإسلامِ.



لَقد كانَ أميراً لِثلاثينَ ألفاً منَ المُسلِمينَ، لكنَّهُ كانَ أكثَرَهُم زُهداً بِما بينَ يَدَيهِ، وكانَ راتِبُهُ خَمسَةَ آلافِ دينارٍ، يَدفَعُها جَميعُها صَدَقَةً ولا يأكُلُ إلاّ من جَنى يَدِهِ، فكانَ النّاسُ يَتعجَّبونَ حينَ يرونَهُ لا يَملِكُ سِوى عباءَةٍ، يَفتَرِشُ بَعضَها، ويَلبَسُ بَعضَها.

وهكذا قضى سَلمانُ ما بَقيَ لَهُ من أيّامٍ في الدُّنيا على النَّهجِ الّذي رَسَمَهُ لَهُ النَّبيُّ ﷺ، ودينِ الإسلامِ، حتّى صارَ لَقَبُهُ: سَلمانَ الخَيرِ، وسَلمانَ المُحَمَّديَّ.

وبعدَ أن عاشَ سَلمانُ في الدُّنيا ما يَزيدُ على القَرنينِ ونِصفٍ، مَرِضَ حتّى أشْرَفَ على المَوتِ، وكانَ آخِرَ ما قالَهُ لامرَأتِهِ: "قالَ لي رَسولُ اللّهِ ﷺ: (إذا حَضَرَكَ أو أخَذَكَ المَوتُ، حَضَرَ أقوامٌ يَجِدونَ الرّيحَ ولا يأْكُلونَ الطَّعامَ، الملائِكَةُ).

ثُمَّ أخرَجَ صُرَّةً من مِسكٍ، وقالَ:" هِبَةٌ أعطانيها رسولُ اللّهِ ﷺ". ثُمَّ بَلَّها ونَشَرَ طيبَها في الأرجاءِ وقالَ لِزَوجَتِهِ:" قومي أجيفي البابَ.". فقامَتْ، وحينَ عادَتْ إليهِ وَجَدَتْهُ في فِراشِهِ مُفارِقاً الحياةَ، وكأنَّهُ نائِمٌ.وقد تولّى أمرَ تَجهيزِهِ ودَفنِهِ أميرُ المُؤمنينَ عليه السلام. رَضيَ اللّهُ عن سَلمانَ.

